فنقول أن الله ابتدأ هذه السورة بكلمة ((**ويل**))، وويل تكررت في القرآن كثيراً، وهي على الأصح كلمة وعيد يتوعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف أمره، أو ارتكب نهيه على الوجه المقيد في الجملة التي بعدها فهنا يقول عز وجل ((**ويل للمطففين**)) فمن هؤلاء المطففون؟ المطففين، هؤلاء المطففون فسرتهم الآيات التي بعدها فقال تعالى: ((**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**)). ((**إذا اكتالوا على الناس**)) أي اشتروا منهم ما يكال ((**يستوفون**)) استوفوا منهم الحق كاملاً بدون نقص ((**وإذا كالوهم أو وزنوهم**)) يعني إذا كالوا لهم أي هم الذين باعوا الطعام كيلاً، فإنهم إذا كالوا للناس أو باعوا عليهم شيئاً وزناً إذا وزنوا للناس نقصوا ((**يخسرون**)) فهؤلاء – والعياذ بالله – يستوفون حقهم كاملاً، وينقصون حق غيرهم، فجمعوا بين الأمرين، بين الشح والبخل، الشح: في طلب حقهم كاملاً بدون مراعاة أو مسامحة، والبخل: بمنع ما يجب عليهم من إتمام الكيل والوزن، وهذا المثال الذي ذكره الله عز وجل في الكيل والوزن هو في الحقيقة مثال، فيقاس عليه كل ما أشبه، كل من طلب حقه كاملاً ممن هو عليه ومنع الحق الذي عليه فإنه داخل في الآية الكريمة، فمثلاً الزوج يريد من زوجته أن تعطيه حقه كاملاً ولا يتهاون في شيء من حقه، لكنه عند أداء حقها يتهاون ولا يعطيها الذي لها، وما أكثر ما تشكي النساء من هذا الطراز من الأزواج ـ والعياذ بالله ـ حيث إن كثيراً من النساء يريد منها الزوج أن تقوم بحقه كاملاً، لكنه هو لا يعطيها حقها كاملاً، ربما ينقص أكثر حقها من النفقة والعشرة بالمعروف وغير ذلك، والغريب أيها الإخوة أن هذا يقع كثيراً من الناس الذين ظاهرهم الالتزام حتى إن بعض النساء تقول أنا ما اخترته، أقول لهذا الزوج: إنه لما له من السمعة الحسنة والالتزام فإذا به ينقلب ويكون أسوأ حالاً بالنسبة لزوجته من أهل الفسق ، فلا أدري عن هؤلاء الذين ظاهرهم الالتزام، هل يظنون أن الالتزام أن يقوم الإنسان بعبادة الله فقط ويضيع حقوق الخلق؟ أن يقوم بعبادة الله فقط ويضيع حقوق الناس؟ إن ظلم الناس أشد من ظلم الإنسان نفسه في حق الله؛ لأن ظلم الإنسان نفسه في حق الله تحت المشيئة إذا كان دون الشرك، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عاقبه عليه، لكن حق الآدميين ليس داخلاً تحت المشيئة لابد أن يوفى، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (**من تعدون المفلس**

فيكم؟) قالوا: من لا درهم عنده ولا دينار أو قالوا: ولا متاع، قال: (**لا، المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال ــ كثيرة ـ فيأتي وقد ظلم هذا، وشتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن بقيت من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئاتهم فطرح عليه، ثم طرح في النار**)، فنصيحتي لهؤلاء الذين يفرطون في حق أزواجهم سواءً كانوا من الملتزمين أو من غيرهم أن يتقوا الله عز وجل فإن النبي صلى الله عليه وسلّم أوصى بذلك في أكبر مجمع شهده العالم الإسلامي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام في يوم عرفة في حجة الوداع، قال: (**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**)، فأمرنا أن نتقي الله تعالى في النساء وقال: (**اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم**) أي بمنزلة الأسرى لأن الأسير إن شاء فكه الذي أسره وإن شاء أبقاه، والمرأة عند زوجها كذلك إن شاء طلقها وإن شاء أبقاها، فهي بمنزلة الأسير عنده فليتق الله فيها، كذلك أيضاً نجد بعض الناس يريد من أولاده أن يقوموا بحقه على التمام لكنه مفرط في حقهم، فيريد من أولاده أن يبروه ويقوموا بحقه، أن يبروه في المال، وفي البدن، وفي كل شيء يكون به البر، لكنه هو مضيع لهؤلاء الأولاد، غير قائم بما يجب عليه نحوهم، نقول هذا مطفف، كما نقول في المسألة الأولى في مسألة الزوج مع زوجته إنه إذا أراد منها أن تقوم بحقه كاملاً وهو يبخس حقها نقول إنه مطفف فهذا الأب الذي أراد من أولاده أن يبروه تمام البر وهو مقصر في حقهم نقول إنك مطفف ونقول له تذكر قول الله تعالى: ((**ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**)) . ثم قال تعالى: ((**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم**)) يعني ألا يتيقن هؤلاء ويعلموا علم اليقين؛ لأن الظن هنا بمعنى اليقين، والظن بمعنى اليقين يأتي كثيراً في القرآن مثل قوله تعالى: ((**الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون**)) . فقال: ((**الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم**)) وهم متيقنون أنهم ملاقوا الله، لكن الظن يستعمل بمعنى اليقين كثيراً في اللغة العربية، وهنا يقول عز وجل: ((**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون**)) ألا يتيقن هؤلاء أنهم

مبعوثــون أي مخرجــون مــن قبــورهم للــه رب العــالمين ((**ليــوم عظيم**)) هذا اليوم عظيم ولا شك أنه عظيم كمـا قـال تعـالى: ((**إن زلزلة الساعة شيء عظيم**)). عظيم في طوله، في أهـواله، فيمـا يحدث فيه، في كل معنى تحمله كلمة عظيم، لكن هذا العظيم هو على قـوم عسـير، وعلـى قـوم يسـير، قـال تعـالى: ((علـى الكـافرين غيـر يسير)). وقال تعالى: ((**يقول الكافرون هذا يوم عسر**)) . لكنـه بالنسبة للمؤمنين ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ يسير كأنما يؤدي به صلاة فريضة من سهولته عليه ويسره عليـه، لاسـيما إذا كـان ممـن اسـتحق هذه الوقاية العظيمة، وكان من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظـل إلا ظله، فهذا اليوم عظيم لكنـه بالنسـبة للنـاس يكـون يسـيراً ويكـون عسيراً . ((**يوم يقوم الناس لرب العـالمين**)) يعنـي هـذا اليـوم العظيم هو ((**يوم يقوم النـاس لـرب العـالمين**)) يقومـون مـن قبورهم حفاة ليس لهـم نعـال ولا خفـاف، عـراة ليـس عليهـم ثيـاب لا قُمص ولا سراويل ولا أزر ولا أردية، حفاة عراة غرلاً أي غيـر مختـونين بمعنى أن القلفة التي تقطع في الختان تعود يـوم القيامـة مـع صـاحبها كما قال الله تعالى: ((**كما بدأنا أول خلق نعيـده**)) . ويعيـده اللـه عز وجل لبيان كمال قدرته تعالى، وأنه يعيد الخلق كما بدأهم، والقلفـة إنما قطعت في الدنيا من أجل النزاهة عن الأقذار؛ لأنها إن بقيـت فـإنه ينحبس فيها شيء مـن البـول وتكـون عرضـة للتلـويث، لكـن هـذا فـي الآخرة لا حاجة إليه؛ لأن الآخرة ليست دار تكليف بل هـي دار جـزاء إلا أن الله سبحانه وتعالى قد يكلف فيها امتحاناً كما قـال تعـالى: ((**يـوم يكشـف عـن سـاق ويُـدعون إلـى السـجود فلا يسـتطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**)). المهـم أن النـاس يقومـون علـى هـذا الوصـف حفاة، عراة، غرلاً، وفي بعض الأحاديث بُهماً قال العلمـاء: البهـم يعنـي الذين لا مال معهم، ففي يوم القيامة لا مال يفتدي الإنسان نفسه مـن العذاب، في يوم القيامة ليس هناك ابن يجـزي عـن أبيـه شـيئاً، ولا أب يجزي عن ابنه شيئاً، ولا صاحبة ولا قبيلة كـلٌّ يقـول نفسـي نفسـي. ((**لكل امرىء منهم يومئـذ شـأن يغنيـه**)) . نسـأل اللـه تعـالى أن يعيننا وإياكم على أهواله وأن ييسره علينا. قال تعالى: ((**يـوم يقـوم الناس لرب العالمين**)) وهو الله جل وعلا، وفي هذا اليـوم تتلاشـى جميع الأملاك إلا ملك رب العالمين جل وعلا، قـال اللـه تعـالى: ((يـوم

هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيئاً. لمن الملك اليوم للـه الواحـد القهار. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلـم اليـوم إن اللـه سـريع الحسـاب)) . قـول اللـه تعـالى ((**كَلاَّ إِنَّ كِتَـبَ الْفُجَّـارِ لَفِـى سِجِّينٍ . وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ...**)) الـخ .((**كلا**)) إذا وردت فـي القرآن لها معانٍ حسب السياق، قد تكون حرف ردع وزجر، وقد تكـون بمعنى حقًّا، وقد يكون لها معانٍ أخرى يعينها السياق؛ لأن الكلمات فـي اللغة العربية ليس لها معنى ذاتـي لا تتجـاوزه، بـل كـثير مـن الكلمـات العربية لها معانٍ تختلف بحسب سياق الكلام، في هذه الآيـة يقـول: ((**كلا إن كتاب الفجار لفي سجين**)) فتحتمل أن تكون بمعنـى حقًّا إن كتاب الفجار لفي سجين، أو تكون بمعنى: الردع عن التكذيب بيـوم الدين، وعلى كل حال فبين الله تعالى في هذه الآية الكريمـة إن كتـاب الفجار في سجين، والسجين قال العلماء: إنه مأخوذ من السـجن وهـو الضيق، أي في مكان ضيق، وهذا المكان الضيق هو نار جهنم ـ والعيـاذ بالله ـ كما قال الله تبارك وتعالى: ((**وإذا ألقوا منها مكانـاً ضـيقاً مقرنيـن دعـوا هنالـك ثبـوراً. لا تـدعوا اليـوم ثبـوراً واحـداً وادعوا ثبوراً كثيراً**)) , وجاء في حـديث الـبراء بـن عـازب الطويـل المشهور في قصة المحتضـر ومـا يكـون بعـد المـوت أن اللـه سـبحانه وتعالى يقول: (**اكتبوا كتاب عبدي في السجين يعني ـ الكـافر ـ في الأرض السابعة السفلى)** فسجين هو أسفل ما يكـون مـن الأرض الذي هو مقر النار- نعوذ بالله منها - فهـذا الكتـاب فـي سـجين، ثـم عظّـم اللـه عـز وجـل هـذا السـجين بقـوله: ((**ومـا أدراك مـا سجين**)) فالاستفهام هنا للتعظيم أي ما الذي أعلمـك بسـجين؟ وهـل بحثت عنه؟ وهل سألت عنه حتى يبين لك، والتعظيم قد يكـون لعظمـة الشيء رفعـة، وقـد يكـون لعظمـة الشـيء نـزولاً، وهـذا التعظيـم فـي سجين ليس لرفعته وعلوه ولكنه لسـفوله ونزولـه. ثـم قـال تعـالى: ((**كتاب مرقوم**)) كتاب هذه لا تعود على سجين وإنما تعود على كتـاب في قوله: ((**كلا إن كتاب الفجار**)) فما هذا الكتاب فقال: ((**كتاب مرقوم**)) يعني مكتوب لا يزاد فيـه ولا ينقـص ولا يبـدل ولا يغيّـر، بـل هذا مآلهم ومقرهم ـ والعياذ بالله ـ أبد الآبـدين. ((**كتاب مرقـوم**)). ((**ويل يومئذ للمكذبين**)) ويـل سـبق الكلام عليهـا فـي أول هـذه السورة، وقلنا إنها كلمة وعيد يتوعـد اللـه بهـا الـذين اسـتحقوا الوعيـد وهي كثيرة في القرآن الكريـم. ((**ويل يومئـذ للمكـذبين . الـذين**

يكذبون بيوم الدين)) والكلام كله في يوم الـدين مـن أول السـورة إلى آخرها كله في يوم الدين والجزاء، هؤلاء الذين يكذبون بيوم الـدين توعـدهم اللـه بالويـل؛ لأن هـؤلاء المكـذبين بيـوم الـدين لا يمكـن أن يستقيموا على شريعة الله. لا يستقيم علـى شـريعة اللـه إلا مـن آمـن بيوم الدين؛ لأن من لم يؤمن به وإنما آمن بالحيـاة فقـط، فهـو لا يهتـم بما ورائها، ولا يعمل لذلك، وإنما يبقى كالأنعـام يتمتعـون ويـأكلون كمـا تأكل الأنعام والنار مثوى لهم.ولهذا أظنكم تعلمون معي أن والله يقرن الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر دائماً؛ لأن الإيمان بالله ابتـداء والإيمـان باليوم الآخر انتهاء. فتؤمن بالله ثم تعمل لليوم الآخر الـذي هـو المقـر، فهؤلاء ـ والعياذ بالله ـ كـذبوا بيـوم الـدين، ومـن كـذّب بـه لا يمكـن أن يعمل له أبداً؛ لأن العمل مبني على عقيدة، فإذا لم يكـن هنـاك عقيـدة فكيف تعمل؟، ولهذا قال: ((**وما يكذب به إلا كـل معتـدٍ أثيـم**)) يعني ما يكـذب بيـوم الـدين وينكـره ((**إلا كل معتـد أثيـم**)): أي((**معتد**)) فـي أفعـاله ((**أثيم**)) فـي أقـواله، وقيـل: ((**معتـد**)) فـي أفعاله ((**أثيم**)) في كسبه أي أن مآله إلى الإثم، والمعنيان متقاربان، المهم أنه لا يمكن أن يكذّب بيوم الدين إلا رجل معتد أثيم، آثم كاسـب للآثام التي تؤدّي به إلى نار جهنم نعوذ بالله ((**إذا تتلى عليـه آياتنـا قال أساطير الأوليين**)) : ((**إذا تتلـى عليـه ((يعنـي إذا تلاهـا عليه أحد، وهو يدل على أن هذا الرجل لا يفكر أن يتلو آيات الله ولكنها تتلى عليه فإذا تليـت عليـه)) **قال أسـاطير الأوليـن ((** أي هـذه أسـاطير الأوليـن وأسـاطير: جمـع أسـطورة وهـي الكلام الـذي يـذكر للتسلي ولا حقيقة له ولا أصل له، فيقول: هذا القرآن أساطير الأوليـن، لماذا؟ لماذا لم ينتفع بالقرآن وهو أبلغ الكلام وأشده تأثيراً على القلـب حتى قال الله تعالى: ((إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلـب أو ألقـى السمع وهو شـهيد)) ؟ ثـم انتقلنـا إلـى قـوله تعـالى ((**كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين**)) ففي هذه الآية يذكر الله عز وجل خبراً مؤكدا بإن لأن ((إن)) في اللغة العربية من أدوات التوكيـد. فإنـك إذا قلـت: الرجل قائم، هذا خبر غير مؤكد، فإذا قلت: إن الرجل قائم. صـار خـبراً مؤكداً فيقول الله عز وجل: ((**إن كتاب الأبرار لفي عليين**))وهذا مقابـل ((**إن كتـاب الفجـار لفـي سـجين**)) فكتـاب الفجـار فـي سجين في أسفل الأرض، وكتاب الأبرار في عليين في أعلى الجنة، أي أنهم في هذا المكان العالي قد كُتب ذلك عنـد اللـه عـز وجـل قبـل أن

يخلـق السـماوات والأرض بخمسـين ألـف سـنة . ((ومـا أدراك مـا عليـون)) أي مـا الـذي أعلمـك مـا عليـون؟ وهـذا الاسـتفهام يـراد بـه التفخيم والتعظيـم. يعنـي أي شـيء أدراك بـه فـإنه عظيـم قـال اللـه تعالى: ((كتاب مرقوم)) هذا بيان لقوله: ((**إن كتاب الأبــرار**)) أي أن كتاب الأبرار كتاب مرقوم مكتـوب لا يتغيـر ولا يتبـدل. ((**يشهده المقربون**)) أي يحضره، أو يشهد بـه المقربـون، و((**المقربون**)) عند الله هم الذين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بطاعته. وكلّمـا كـان الإنسان أكثر طاعة لله كان أقرب إلى الله. وكلّمـا كـان الإنسـان أشـد تواضعاً لله كان أعز عند الله، وكان أرفع عند الله، قال اللـه تعـالى: ((**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتـوا العلـم درجـات**)) . فالمقربون هم الذين تقربوا إلى اللـه تعـالى بصـالح الأعمـال، فقربهـم اللــه مــن عنــده.((**إن الأبــرار لفــي نعيــم . علــى الأرائــك ينظرون**)) الأبرار: جمـع بـر، والـبر كـثير الخيـر، كـثير الطاعـة، كـثير الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله، فهـؤلاء الأبـرار الـذين مـنّ اللـه عليهـم بفعـل الخيـرات، وتـرك المنكـرات فـي نعيـم،((**إن الأبرار لفي نعيم**)) والنعيم هنا يشمل نعيم البدن ونعيم القلب، أما نعيم البدن فلا تسأل عنه فإن الله سبحانه وتعـالى قـال فـي الجنـة: ((**وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون**)). وقال تعالى: ((**فلا تعلم نفسٌ ما أخفـي لهـم مـن قـرة أعيـن جزاءً بما كانوا يعملون**)) . وأما نعيـم القلـب فلا تسـأل عنـه أيضـاً فإنهم يقال لهم وقد شاهدوا الموت قد ذبح يقال لهم: (**يا أهل الجنة خلود ولا موت ويقال لهم: ادخلوها بسلام، ويقـال لهـم: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وأن تصحوا فلا تمرضوا أبـداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً،**) وكل هـذا ممـا يـدخل السـرور علـى القلب فيحصل لهم بذلك نعيم القلب ونعيم البـدن، والملائكـة يـدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم ((**سلام عليكم بما صـبرتم فنعـم عقبى الدار**)) - جعلني الله وإياكم منهم -. وقــوله تعــالى: ((**على الأرائك ينظرون**)): الأرائـك جمـع أريكـة وهـي السـرير المزخـرف المشيد الذي وَضع عليه مثل الظل، وهو من أفخر أنـواع الأسـرة فهـم على الأرائك على هذه الأسرة الناعمة الحسـنة البهيـة ((**ينظرون**)) يعني ينظرون ما أنعم الله به عليهم من النعيم الذي لا تـدركه الأنفـس الآن: ((**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**)) . وقــال

بعض العلماء: إن هذا النظر يشمل حتى النظر إلى وجـه اللـه، وجعلـوا هذه الآية من الأدلـة علـى ثبـوت رؤيـة اللـه عـز وجـل فـي الجنـة . ((**تعرف في وجوههم نضرة النعيم**)) أي تعرف أيها النـاظر إليهـم ((**فـي وجـوههم نضـرة النعيـم**)) أي حسـن النعيـم وبهـاءه، أي التنعم، وأنتم تشاهدون الآن في الدنيا أن المنعمين المـترفين وجـوههم غيـر وجـوه الكـادحين العـاملين. تجـدها نضـرة، تجـدها حسـنة، تجـدها منعمـة، فأهـل الجنـة تعـرف فـي وجـوههم نضـرة النعيـم أي التنعـم والسرور؛ لأنهم أسّر ما يكون، وأنعم ما يكون، ثم قال الله تعـالى فـي بيان ما لهم من النعيم ((**يسقون من رحيق مختوم**)) الخ الآيات. قوله تعالى: ((**يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ . خِتَمُـهُ مِسْـكٌ وَفِـى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ**)) : الضمير في قوله: ((**يسـقون**)) يعني الأبرار، يسقيهم الله عز وجل بأيـدي الخـدم الـذين وصـفهم اللـه بقـوله: ((**يطـوف عليهـم ولـدان مخلـدون. بـأكواب وأبـاريق وكأس من معين. لا يصدعون عنها ولا ينزفون**)) .((**يسقون من رحيق**)) أي من شراب خالص لا شـوب فيـه ولا ضـرر فيـه علـى العقل، ولا ألم فيه في الرأس، بخلاف شراب الدنيا فـإنه يغتـال العقـل ويصـدع الـرأس. أمـا هـذا فـإنه رحيـق خـالص ليـس فيـه أي أذى ((**مختوم. ختامه مسـك**)) أي بقيتـه وآخـره مسـك أي طيّـب الريـح. بخلاف خمر الدنيا فإنه خبيث الرائحة. فهؤلاء القوم الأبرار لمـا حبسـوا أنفسهم عن الملاذ الـتي حرمهـا اللـه عليهـم فـي الـدنيا أعطوهـا يـوم القيامة. ((**وفي ذلـك فليتنـافس المتنافسـون**)) أي وفـي هـذا الثـواب والجـزاء ((**فليتنـافس المتنافسـون**)) أي فليتسـابق المتسابقون سباقاً يصل بهم إلى حد النفس، وهـو كنايـة عـن السـرعة فـي المسـابقة. يقـال: نافسـته أي سـابقته سـباقاً بلـغ بـي النفـس، والمنافسة في الخير هي المسابقة إلى طاعة الله عـز وجـل وإلـى مـا يرضي الله سبحانه وتعالى، والبعد عما يسخط الله. ثم قال عـز وجـل: ((**ومزاجه من تسنيم. عيناً يشرب بها المقربـون**)) أي مـزاج هذا الشراب الذي يُسقاه هؤلاء الأبرار ((**من تسنيم**)): أي من عيـن رفيعـة معنـى وحسًّـا، وذلـك لأن أنهـار الجنـة تفجّـر مـن الفـردوس، والفردوس هو أعلى الجنـة، وأوسـط الجنـة، وفـوقه عـرش الـرب عـز وجل كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، فهـذا الشراب يمزج بهذا الطيـب الـذي يـأتي مـن التسـنيم أي: مـن المكـان

المسنَّم الرفيع العالي، وهو جنة عدن. ((**عيناً يشرب بها المقربون**)) أي أن هذه العين والمياه النابعة، والأنهار الجارية يشرب بها المقربون. وهنا سيقول قائل: لماذا قال: ((**يشرب بها**)) ؟ هل هي إناء يُحمل حتى يقال شرب بالإناء؟ فالجواب: لا. لأن العين والنهر لا يُحمل. إذن لماذا لم يقل يشرب منها المقربون؟ والجواب عن هذا الإشكال من أحد وجهين: فمن العلماء من قال: إن " الباء " بمعنى " من " فمعنى ((**يشرب بها**)) أي يشرب منها. ومنهم من قال: إن يشرب بمعنى يروى ضمّنت معنى يروى فمعنى ((**يشرب بها**)) أي يروى بها المقربون. وهذا المعنى أو هذا الوجه أحسن من الوجه الذي قبله؛ لأن هذا الوجه يتضمن شيئين يرجحانه وهما: أولاً: إبقاء حرف الجر على معناه الأصلي. والثاني: أن الفعل ((**يشرب**)) ضمَّن معنى أعلى من الشرب وهو الرّي، فكم من إنسان يشرب ولا يروى، لكن إذا روي فقد شرب، وعلى هذا فالوجه الثاني أحسن وهو أن يضمّن الفعل ((**يشرب**)) يعني يروى.((**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ**)): ((**إن الذين أجرموا**)) أي قاموا بالجرم وهو المعصية والمخالفة، ((**كانوا**)) أي في الدنيا ((**من الذين آمنوا يضحكون**)) استهزاءاً وسخرية واستصغاراً لهم. ((**وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**)) ((**وإذا مروا**)) الفاعل هل هم الذين أجرموا؟ أو الذين آمنوا؟ الآية تصلح لهذا وهذا يعني يصح أن يكون إذا مر المؤمنون بالمجرمين، أو إذا مر المجرمون بالمؤمنين، والقاعدة التي ينبغي أن تفهموها في التفسير: أن الآية إذا احتملت معنيين لا ينافي أحدهما الآخر وجب حملها على المعنيين؛ لأن ذلك أعم،هل مفهوم هذا عندكم؟ ((**وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**)): من المار؟ سؤال موجه لكم؟ يحتمل إذا مر المجرمون بالمؤمنين، أو إذا مر المؤمنون بالمجرمين، فإذا جعلناها للأمرين صار المعنى: أن المجرمين إذا مروا بالمؤمنين وهم جلوس تغامزوا، وإذا مر المؤمنون بالمجرمين وهم جلوس تغامزوا أيضاً فتكون شاملة للحالين: حال مرور المجرمين بالمؤمنين، وحال مرور المؤمنين بالمجرمين. ((**يتغامزون**)) يعني يغمز بعضهم بعضاً، انظر إلى هؤلاء سخرية واستهزاء واستصغاراً. ((وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين)) إذا انقلب المجرمون إلى أهلهم ((**انقلبوا فكهين**)) يعني متفكهين بما نالوه من السخرية بهؤلاء المؤمنين، فهم يستهزؤون ويسخرون

ويتفكهون بهذا، ظنًّا منهم أنهم نجحوا وأنهم غلبوا المؤمنين، ولكن الأمر بالعكس. ثم قال تعالى: ((**وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون**)) ((**إذا رأوهم**)) أي رأى المجرمون المؤمنين ((**قالوا إن هؤلاء لضالون**))، ضالون عن الصواب، متأخرون، متزمتون متشددون إلى غير ذلك من الألفاظ، ولقد كان لهؤلاء السلف خلف في زماننا اليوم وما قبله وما بعده، من الناس من يقول عن أهل الخير: إنهم رجعيون، إنهم متخلفون ويقولون عن الملتزم: إنه متشدد متزمت، وفوق هذا كله أنهم قالوا للرسل عليهم الصلاة والسلام إنهم سحرة أو مجانين، قال الله تعالى: ((**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**)). فورثة الرسل من أهل العلم والدين سينالهم من أعداء الرسل ما نال الرسل من ألقاب السوء والسخرية وما أشبه ذلك، ومن هذا تلقيب أهل البدع أهل التعطيل للسلف أهل الإثبات بأنهم حشوية مجسمة مشبهة وما أشبه ذلك من ألفاظ السوء التي ينفرون بها الناس عن الطريق السوي. ((**وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون**)). ((**وما أرسلوا عليهم حافظين**)): أي أن هؤلاء المجرمين ما بعثوا حافظين لهؤلاء يرقبونهم ويحكمون عليهم، بل الحكم لله عز وجل. ثم قال تعالى: ((**فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون**)) اليوم يعني يوم القيامة، الذين آمنوا يضحكون من الكفار فـ ((**فالذين**)) مبتدأ و((**يضحكون**)) خبره و((**من الكفار**)) متعلق بيضحكون، والمعنى: فاليوم الذين آمنوا يضحكون اليوم من الكفار، وهذا والله هو الضحك الذي لا بكاء بعده، أما ضحك المجرمين بالمؤمنين في الدنيا فسيعقبه البكاء والحزن والويل والثبور. ((**على الأرائك ينظرون**)) أي أن المؤمنين على الأرائك في الجنة، والأرائك هي السرر الفخمة الحسنة النضيرة ((**على الأرائك ينظرون**)) أي ينظرون ما أعد الله لهم من الثواب، وينظرون أولئك الذين يسخرون بهم في الدنيا، كما قال الله تعالى: ((**قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون. قال هل أنتم مطلعون**)) . يقول لأصحابه في الجنة يعرض عليهم أن يطلعوا إلى قرينه الذي كان في الدنيا ينكر البعث ويكذب به ((**فاطلع فرآه في سواء الجحيم**)) في قعره وأصله قال له: ((**تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من**

المحضرين)) فأنت ترى الآن أن المؤمنين يرون الكفار وهم يعـذبون في قعر النار والمؤمنون فـي الجنـة،((**على الأرائـك ينظـرون**)): إذن ينظرون شيئين: الأول: ما أعد الله لهم من النعيم النظـر إلـى وجه الله عز وجل. والثاني: ينظـرون إلـى هـؤلاء المكـذبين فـي الـدنيا الذين يسخرون بهم ويستهزؤون بهم، ينظرون إليهـم وهـم فـي عـذاب الله . ثم قال تعالى: ((**هل ثوب الكفـار مـا كـانوا يفعلـون**)) ((**ثوب**)) أي جوزي، و((**هل**)) هنا للتقرير أي أن الله تعـالى قـد ثـوب الكفار وجازاهم جزاء فعلهم في الدنيا، وهو سبحانه وتعالى حكم عدل. فحكمه دائر بين العدل والفضل، بالنسـبة للـذين آمنـوا حكمـه وجـزاؤه فضـل، وبالنسـبة للكـافرين حكمـه وجـزاؤه عـدل، فالحمـد للـه رب العـالمين، وبهـذا تـم الكلام الـذي يسـره اللـه عـز وجـل علـى سـورة المطففين نسأل الله تعالى أن ينفعنا وإياكم به .